

الامامة والسياسة

[213] وأظهر لاهل الشام الرضا عنهم: أي القوم، وأنهم بايعوا، فقال: يا أهل الشام (1) إن هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين، فوجدهم واصلين مطيعين، وقد بايعوا وسلموا، قال ذلك والقوم سكوت ولم يتكملوا شيئاً حذر القتل، فوثب أناس من أهل الشام فقالوا: يا أمير المؤمنين إن كان رابك منهم ريب، فخل بيننا وبينهم، حتى نضرب أعناقهم. فقال معاوية: سبحان الله! ما أحل دماء قريش عندكم يا أهل الشام. لا أسمع لهم ذاكرة بسوء، فإنهم قد بايعوا وسلموا، وارتضوني فرضيت عنهم، رضي الله عنهم (2). ثم ارتحل معاوية راجعاً إلى مكة، وقد أعطى الناس أعطياتهم، وأجزل العطاء، وأخرج إلى كل قبيلة جوائزها وأعطياتها، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء. فخرج عبد الله بن عباس في أثره حتى لحقه بالروحاء (3)، فجلس ببابه، فجعل معاوية يقول: من بالباب؟ فيقال: عبد الله بن عباس؟ فلم يأذن لأحد. فلما استيقظ قال: من بالباب؟ فقبل: عبد الله بن عباس، فدعا بدابته، فأدخلت إليه، ثم خرج راكباً، فوثب إليه عبد الله بن عباس، فأخذ بلجام البغلة، ثم قال: أين تذهب؟ قال: إلى مكة، قال: فأين جوائزنا كما أجزت غيرنا، فأوماً إليه معاوية، فقال: والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم (4). قال ابن عباس: فقد أبى ابن الزبير فأخرجت جائزة بني أسد، وأبى عبد الله بن عمر، فأخرجت جائزة بني عدي، فمالمنا إن أبى صاحبنا، وقد أبى صاحب غيرنا؟ فقال معاوية: لستم كغيركم، لا والله لا أعطيك درهما حتى يبايع صاحبكم. فقال ابن عباس: أما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام، ثم لا قولن ما تعلم، والله لا تركنهم عليك خوارج. فقال معاوية: لا، بل أعطيك جوائزكم، فبعث بها من الروحاء ومضى راجعاً إلى الشام، فلم يلبث إلا قليلاً، حتى توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة نامها رحمه الله. ما قال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية قال: فلما قدم معاوية إلى الشام، أتاه سعيد بن عثمان بن عفان، وكان شيطاناً _____ (1) انظر مقالته في ابن الأثير 2 / 513 العقد الفريد 4 / 372 ابن الأعمش 4 / 248 باختلاف عما هنا.

(2) فبايع الناس، وكانوا يتربصون ببيعة هؤلاء النفر، وتفرقوا وهم يظنون أنهم. (3) الروحاء: على طريق مكة من المدينة. (4) يريد الحسين بن علي. (*)